

بين الأمرين هو أن التأويل مبنى على أساس الدلالة أما القواعد الصرفية فانها عملية تجريد لوحدة صرفية معينة من امثلة واقعية وهذه العملية تعتمد اطلاقا على عنصر المعنى وان كانت تستعين به في حصر الكلمات التى تنتمى الى مادة واحدة .

## (2) الوحدة الصوتية والحرف :

الصوت اللغوى هو مجموعة من الصفات الصوتية تعتبر جزءا واحدا من الاجزاء التى تكون الحدث اللغوى، كالكاف من « ركب » ، وهى تتكون من صفات تسمى الانفجار والهس والرخاوة . ويدرك أبناء اللغة بفطرتهم - وان كان هناك من علماء الاصوات من يشك في ذلك - وحدة هذه الصفات بحيث تكون الكل الذى نسميه صوت الكاف . ولكن هذه الصفات قد تزيد او تنقص تبعا للظروف التى يوجد فيها الصوت ، ففى المثال « كتب » نقصت من هذه الصفات صفة الانحباس وفى المثال « لك » وجد الانحباس ولم يوجد الانفجار . ومعنى هذا بالضرورة ان يكون لدينا فى الامثلة الثلاثة السابقة ثلاث كانات لا كاف واحدة هى ثلاثة انواع من الكاف ، « الكاف المنفجرة والكاف المنحسبة والكاف المنفجرة المنحسبة » او بعبارة اخرى فان الحرف الذى نسميه كانا يعنى كانا كلية تندرج تحتها افراد ثلاثة من الكانات . والكاف الكلية هذه هى الوحدة الصوتية او الصوتيم (Phoneme) وهى امر اعتبارى يتدرج تحتها افراد واقعية يسمى كل منها صوتا (Phone).

ولم يفرق العرب بين الصوتيم والصوت تفريقا نظريا واضحا كما فعل المحدثون ولكن ما كتبوه فى وصف الاصوات بين بوضوح ادراكهم لهذه النظرية .

وقد استعمل سيبويه لفظ ( حرف ) للمعنى العام الذى يعرف بالصوتيم او الوحدة الصوتية ثم ذكر ان هناك حرفا اصليا وفروعا له . ومثل لذلك بالالف والالف الممالة والالف التخميم وبالضاد والضاد الضعيفة وبالنون والنون الخفيفة . الخ .

واتجاه سيبويه هذا يذكرنا بتعريف دانيال جونز للصوتيم بأنه عائلة من الاصوات يعتبر احدها أصلا والباقي فروعا له .

ولن ادخل الآن فى الجدل الذى نشب بين اللغويين المحدثين حول نظرية الصوتيم Phoneme theory

تمثلها الضمة الطويلة فى يقول) هى الاصل وبالتالي فان اصل قال ( او التركيب الداخلى لها) هو «قول» واصل يقول هو «يقول» واصل قائل هو «قائل» ثم وضموا طائفة من القواعد المترددة لتحويل الواو فى الامثلة كلها الى الصورة التى تبدو عليها واقميا فى المثال . اى انهم فى واقع الامر قد قالوا بنفس الامور الثلاثة التى تقول بها المدرسة التحويلية وهى التركيب الخارجى (اللفظ) والتركيب الداخلى ( التأويل) والقواعد التحويلية ( قواعد الاعلال فى هذه الحالة ) .

وقد امتازت المدرسة العربية على المدرسة التحويلية فى هذا المجال بميزة هامة ذلك ان المدرسة التحويلية تضع قاعدة لتحويل مثال بعينه وبالتالي فانها من باب التفسير لا التعميد . اما القاعدة الصرفية ( اى القاعدة التحويلية ) عند العرب فانها قاعدة تركيبية عامة لا تفسر لفظا بعينه بل تعمل فى كل الظروف التى تنطبق على القاعدة . وهذا هو بحق ما يمكن ان يسمى بالتعميد . اما القواعد التحويلية التى يقول بها تشومسكى واتباعه فهى كما قلنا ليست قواعد بل مجرد تفسير تحليلى لاحتمالين عقليين فى فهم عبارة معينة . وعلى سبيل المثال نجد ان القاعدة العربية « اذا تحركت بالواو وسبقت بالفتحة قلبت ( او تحولت ) الى الف » تنطبق على التركيب الداخلى ( التأويل ) « قول » الذى يصير تركيبا خارجيا هو « قال » . كما سنجد منطبقا على التركيب « قوم » الذى يصير بناء على نفس القاعدة « قام » . اما القاعدة التحويلية الاخرى وهى « اذا وقعت الواو مضومة حذفت ضميتها للنقل وصارت الواو ضمة طويلة » فاننا نجدها تنطبق على « يقول » التى تصير بناء عليها الى « يقول » وعلى « مقول » التى تصير بناء على القاعدة نفسها الى « مقول » اما القواعد التحويلية التى قال بها تشومسكى فانها قواعد لا تنطبق على اطلاقها بل فى نطاق مثال معين قد يحتوى على لفظ او تركيب يمكن ان يكون مزدوج العلاقة .

لست الان فى مجال الرد على المدرسة التحويلية ولا على المدرسة التقليدية العربية فى اتخاذ المعنى اساسا للتبويب النحوى . ولكن ينبغى على الان ان اعترف بانى اوافق النحاة كل الموافقة على قواعدهم التحويلية الصرفية بينما اختلف معهم كما اختلف مع المدرسة التحويلية فيما يتعلق بالقواعد التحويلية النحوية ( اى التأويل ) والفرق

ولكنى اكتفى بالقول بأنهم قرروا ضرورة تحديد الظروف الكلامية التي يوجد فيها كل من أفراد الصوتيم ولا يمكن أن يوجد فيها سواه . وفي باب الإدغام في العربية مثال لتوزيع أنواع حرف ما ( أو الاصوات التي تتدرج تحت وحدة صوتية ميمنة ) على مختلف الظروف الكلامية .

ولنأخذ مثال النون العربية وهى على أنواع :

- (1) نون لثوية مجهزة وتوجد في جميع الحالات سوى ما يأتى .
- (2) نون رخوة انفية مجهزة وتوجد قبل الكاف مثل « ان كان » .
- (3) نون لهوية انفية مجهزة وتوجد قبل القاف مثل « ان قال » .
- (4) نون صليبية انفية مجهزة وتوجد قبل الياء والشين والجيم « ان يكن » « ان شاء » « ان جاء » .
- (5) نون شفوية ثنائية مستديرة انفية وتوجد قبل الواو مثل « ان وعد » .

### (3) الساكن والمتحرك والحركة :

يقسم علماء اللغة المحدثون الكلمة « كتب » الى ستة أقسام الكاف والفتحة والتاء والفتحة والباء والفتحة . ولكن علماء اللغة العرب يقسمونها أقساما ثلاثة فقط هى الكاف والتاء والباء ثم يضيفون لكل من هذه صفة لاحقة بها هى الفتحة أو بعبارة أخرى فان العرب يعتبرون أن الكلمة « كتب » تتطلب ثلاث عمليات هى :

- (1) عملية اداء الكاف والتخلى عنها اى رفع مؤخرة اللسان الى السقف الرخو وحبس الهواء مع عدم الجهر ثم التخلى عن هذا الوضع النطقى .
- (2) عملية اداء التاء والتخلى عنها وهى تلامس طرف اللسان مع اللثة وحبس الهواء والهمس ثم التخلى عنها .
- (3) عملية اداء الباء وهى انطباق الشفتين وانحباس الهواء والجهر ثم التخلى عنها .

وجزئية التخلى في هذه العمليات الثلاثة قد تتخذ اشكالا متعددة تبعا لوضع اللسان والشفتين وحركة الاوتار الصوتية فقد تكون جزئية التخلى هذه هى ما يسمى بتحريك الكاف بالفتحة أو بالضمة وقد تكون بالسكون فلا تسلك الاعضاء الصوتية نفس سلوكها

عندما تكون جزئية التخلى هذه فتحة أو كسرة أو ضمة . والشكل الذى تتخذه جزئية التخلى هو ما تسميه مدرسة التحليل الطيفى باسم « Cue » وصنيع العرب في هذا المجال يفكرنا بالكتابة الاثيوبية التي لا تكتفى بصورة كتابية للساكن بل تضع صورة للساكن محركا بحركة ما تختلف عن الصورة التي تضعها لنفس الساكن عندما يكون محركا بحركة أخرى فالباء — على فرض أن النظام الصوتى في الامهريه هو نفس النظام الصوتى العربى — تكتب على اربعة اشكال مختلفة ، شكل عندما تكون ساكنة وآخر عندما تكون مفتوحة وثالث عندما تكون مضومة ورابع عندما تكون مكسورة . وهذا النوع من الكتابة هو ما يعرف باسم الكتابة المقطعية ، وتعتبر الكتابة العربية خطوة الى الامام حيث جعلت للصوتيم رسمه الموحد رغم اختلاف حركته . ولكنها اعتبرت الحركة شكلا من الاشكال الذى يبدو عليها الصوتيم وليست صوتيها آخر .

ويظهر لنا أن تركيبات اللغة العربية ذاتها تساعد على هذا الاتجاه وذلك للأسباب الآتية :

1 — الحركات في العربية لا تزيد عن اربعة هى : عدم وجود حركة ( سكون ) وفتحة وضمة وكسرة . وبذلك فان مجال الخلط بينها ليس واسعا كما هو في الانجليزية والصومالية التي تزيد عدد الحركات في كل منهما عن عشرين حركة .

2 — تحدد الاوزان الصرفية نوع الحركة بعد كل ساكن من مواد الكلمة فاسم الفاعل من الثلاثى دائما مفتوح الاول ( فتحة طويلة ) مكسور الثانى . والفعل الماضى والمضارع المبنيان للمعلوم مفتوحا الاول دائما ولا يخرجان عن هذه القاعدة الا في حدود قواعد اخرى كزيادة الهزة على المادة في مثل « أخرج » التي تتطلب ضم اول المضارع وكالبناء للمجهول الذى يتطلب طريقة اخرى من تحريك السواكن الخ .

3 — تتكفل القواعد الاعرابية بتحديد حركة اواخر الكلمات . من اجل هذا لم تجد الكتابة العربية في اول امرها حاجة الى وضع رموز خاصة بالحركات ، اكتفاء بالقواعد التركيبية في مستوى الصرف والنحو التي تجدد نوع الحركات الى حد كبير .

صحيح ان هذا يعنى ان الكتابة العربية تعتمد على قواعد اللغة الصرفية والنحوية وهذا واضح في نزعة قواعد الإملاء الى أن تعتمد على القواعد الصرفية .

وصحيح ايضا ان هذا يواجه المتعلم بصعوبة بينة حيث انه يبدأ تعلم اللغة بتعلم الكتابة بينما ان الكتابة تعتمد على النحو والصرف الذي لا يحيط بهما المتعلم عندما يبدأ تعلم الكتابة الخطيبة .

ولكن الامر من وجهة النظر التحليلية ( وهى مستوى اعلى من مستوى التأليف التعليمى ) امر منطقى حيث انه من المسلم به لدى علماء اللغة ان قواعد اللغة تعتمد مستوياتها كل على الآخر . وكما تعتمد القواعد الصرفية على القواعد الصوتية او النحوية مثلًا فان القواعد الكتابية بدورها يمكن دون حرج ان تعتمد على مستويات اخرى من قواعد اللغة . ومن هنا اهمل الكتاب العرب الاوائل كتابة الحركات فيما عدا الطويلة منها ، وقد رمزوا اليها بحروف سموها حروف اللين والمد . وفى تاريخ متأخر استعملت حروف اللين والمد للرمز للصفات الحركية لحروف المادة والزيادة وكتبت صغيرة فوقها ( و ) للضممة ( ا ) للفتحة ( ي ) للكسرة ( هـ ) للسكون . ولا يزال رسم المصحف يحتفظ بهذه الطريقة لتدوين الصفات الحركية او الحركات .

وفى دراسة اصوات اللغة اتبع سيبويه وتلاميذه هذا المنهج فوصفوا الحروف اساسا ولم يصفوا صفاتها الحركية الا وصفا ضمنيًا حين تحدثوا عن حروف اللين والمد . ويقرر سيبويه صراحة ان الفتحة جزء من الالف والكسرة جزء من الياء والضممة جزء من الواو فيقول ( واما الحركات فهى من الالف والواو والياء . الخ .

وبناء على هذا يكون كل من الالف والواو والياء مكونا من جزئين اللين ( نصف الحركة ) والمد ( طول الحركة ) .

وقد يكون جزء اللين ( او نصف الحركة ) شبيها بالحرف وذلك اذا تبعته حركة او ولى حرفا متحركا مثل و ، ي فى الكلمتين ، او ، اى ، وهذا ما يسميه علماء الاصوات المحدثون بالانزلاق او نصف الحركة Semi vowel اما بالنسبة للجزء اللين من الالف فله احتمالان اما ان يكون حركة وذلك اذا كان صفة لحرف كالفتحة فى « ك » واما ان يكون انزلاقا . ونظرا لان الفتحة لا مخرج لها حيث ان جميع الاعضاء الصوتية تكون متباعدة بعضها عن بعض فان الانزلاق لا يمكن ان يحدث

الا اذا اقتربت الاوتار الصوتية بعضها من بعض اقترابا يشبه اقتراب الشفتين للنطق بالواو وقد يشتد الاقتراب ثم يزول فنتج ما سماه سيبويه بالهمزة المسهلة . وقد يكون الانزلاق بطريقة اخرى وهو احداث دفعة هوائية ضخمة تحتقن بواسطتها منطقة الاوتار الصوتية . وبعد مرور الدفعة الهوائية يزول احتقانها محدثا صوتا شبه انفجارى وربما كان هذا هو ما يقصده سيبويه بالهمزة التى بين بين . وهذه العملية هى التى تسمى بازدواج القمة المقطعية . (doubling the peak)

هذا ولم يقسم سيبويه بادئ ذى بدء الاصوات الى سواكن (consonants) وحركات (vowels) كما فعل المحدثون ولكنه قسم الاصوات الى اقسام متعددة هى المنفجرة والانفية والجانبية والترددة وحروف اللين والمد . الخ . ثم جعل الحركة جزءا من حرف اللين ، اى ان وصفه لحروف اللين يتضمن وصفه للحركات ضرورة انها الاخيرة اجزاء من الاولى ، وسيبويه هنا صوتى دقيق حيث انه لاحظ ما لاحظه المحدثون من ان الفرق بين ما نسميه الواو والضممة والياء والكسرة هو مجرد الاستمرار الزمنى فى الأداء او الطول فلو نطقنا بالكلمة « او » واستمر نطقنا بالواو الساكنة فسيكون هذا الاستمرار هو الضمة وبالمثل اذا ما نطقنا بالياء الساكنة من « اى » فان اطالتها تنتج الكسرة .

واذن فالفرق بين سيبويه والمحدثين هو كالفرق بين شخصين يدعى أحدهما ان الرقم 4 ينتج من تكرار العدد 2 مرتين ، ويدعى الآخر انه يتكون من تكرار العدد 1 اربع مرات . هو مجرد فرق فى الاعتبار لا فى الموضوع

### الوصف المادى والوصف الوظيفى :

ويجدر بنا فى سياق الحديث عن الحركات ان ننقل عن سيبويه قوله بان الحركات فى العربية ثمانية هى الضم والرفع والفتح والنصب والخفض والجر والسكون والوقف وان هذه الثمانية من حيث الواقع اربعة لان الضم والرفع امر واحد وكذلك الفتح والنصب والخفض والجر والوقف والسكون . ولكن نظرا لامكان تغيير حركة الرفع والنصب والخفض والسكون نتيجة لاختلاف موقع الكلمة الاعرابى فقد اعتبر هذه امورا مختلفة عن الضم والفتح والخفض والسكون .

وسنبرسيبويه هذا يعكس نظرية حديثة تفرق بين الصفات الذاتية لأفراد الوحدة اللغوية وبين الصفات الوظيفية للوحدة ذاتها . وقد وضحنا هذا الفرق في نرس متعددة بمثال لا نرى بأسا من اعادته هنا .

لو قلنا بأن حارسا واحدا يحرس مبنى الكلية ، فان هذا لا يعنى وجود حارس واحد دائما في كل ساعات النهار والليل ولا تتعارض هذه الدعوى مع وجود ثلاثة من الحراس يتناوبون فيما بينهم الحراسة هم محمد وعلى وابراهيم .

وليس من شك في صحة قولنا بأن في الكلية ثلاثة حراس هم محمد وعلى وابراهيم وصحة قولنا بأن حارسا واحدا يحرس الكلية ، حيث أن حارس بالمعنى الثانى تحديد للوظيفة اما بالمعنى الاول فانه يعنى تحديد شخص ذى صفات بعينها هو احد الثلاثة محمد وعلى وابراهيم .

ومثل هذا التفريق هو الذى قصده سيبويه فهو يعنى بالضم والفتح والخفض والسكون ذوات الحركات ويعنى بالرفع والنصب والجر والجزم وظائف قد تحقق بهذا الحركات ( وهو الاعم الاغلب ) وقد تحقق بأمر آخرى كالرفع بالواو او بالالف او ثبوت النون والنصب بالالف او بالكسرة او حذف النون والجر بالفتحة او بالياء والجزم بحذف النون او بحذف حرف العلة .

ونظرية تقابل الصفات الوظيفية والصفات المادية هي المحور النظرى في دراسة علم اللغة الحديث . وقد نطلب نضوج هذه النظرية عشرات من السنين حيث وجدناها فيما كتب دى سوسير في العشرينيات ( وربما كانت موجودة من قبله ) ولا تزال محل نقاش نظرى حتى يومنا هذا .

### المادة والاساس والصفة :

بعد الانتهاء من حصر الوحدات الصوتية في اللغة يصعد الباحث الى مستوى أعلى من التحليل هو مستوى تركيب الكلمة morphology والوحدة الاساسية في هذا المستوى هي الصرفيم morpheme ويعرف بأنه اقل مجموعة من الوحدات الصوتية تؤدي معنى مثل im في الكلمة الإنجليزية impossible ويفرق علماء اللغة المعاصرون بين مجموعة من الاصوات توجد وحدها

في الاستعمال وتقبل اضافة اجزاء تركيبية اخرى اليها وتكون معها كلمة وبين سواها من المجموعات الصغرى ذات الدلالة فكلية possible تعتبر اساسا للكلمة impossible وقد نهج العرب نفس المنهج حين اعتبروا كلمة مسلم اساسا بنيت عليه الكلمة مسلمون ، غير انهم اضافوا مفهوما آخر تقتضيه طبيعة اللغة العربية واطلقوا على هذا المفهوم لفظا لمادة . والمادة اقل مجموعة من الاصوات تؤدي معنى ولكنها لا تصلح وحدها ان تكون كلمة مستقلة الاستعمال بل ولا يمكن النطق بها دون اندماجها مع مجموعة اخرى ذات معنى تسمى بالوزن .

والمادة والوزن مفهومان خاصان بالعربية وباللغات السامية وهما مفهومان تجريديان وليسا كالاساس جزءا يمكنه الاستقلال بذاته في الاستعمال . والمادة والوزن ليسا مجرد طريقة منهجية لتفسير بناء الكلمة في العربية ولكنها اعتباران يبنين عليهما السلوك الصوتي في تركيب الكلمة . نود ان يلاحظ ما يأتى :

### أ) الصوتيم في المادة وغير المادة :

قلنا بأن الصرفيم يتكون من صوتيمات . وقلنا بأن كل صوتيم يشمل مجموعة من الانواع يختار واحد منها للاستعمال في ظرف او ظروف معينة لا يشاركه فيها سواه وكل هذا صادق بالنسبة للغة كالانجليزية . اما في العربية فيصدق هذا السلوك في غير صرفيمات المادة . ولنتقارن بين سلوك الصرفيم « و » عند وجوده في صرفيم غير صرفيم المادة وعند وجوده في صرفيم المادة .

في غير صرفيم المادة نلاحظ ان الواو تلزم صفة واحدة ولا يعترها غير تأثيرات التجاوز كالتفخيم اذا جاوزت صوتا مخفما مثل طور ، والانفية اذا جاورت صوتا انفيا مثل إن وعد . اما فيما عدا ذلك فانها تحتفظ بصفات الاساسية وهي الشفوية الثنائية والانطلاق وعدم الاحتكاك والجر ، ولكن الواو في صرفيم المادة ذات شأن آخر فقد تكون واوا ساكنة وقد تكون ضمة تصيرة او طويلة وقد تكون فتحة طويلة وقد تكون همزة وقد تكون ياء وقد تسقط نهائيا .

### واليك الامثلة :

في المادة العربية « ق و ل » الاصل الثانى « واو » ومن هذه المادة تشتق الكلمات قال ، يقول ، قائل ، قيل ، قل الخ . ولو ابعدنا من هذه الكلمات حروف الزيادة

من ياء المضارعة والف صيغة « فاعل » وأبعدنا كذلك الاصل الاول وهو التاف والاصل الثالث وهو اللام لوجدنا (1) الاصل الاوسط وهو الواو يبدو مرة فتحة طويلة ومرة اخرى ضمة طويلة وثالثة همزة ومرة رابعة ضمة قصيرة . ومعنى هذا ان الصوتيم « و » اذا كان من صوتيمات المادة فانه يظهر في صورة واحد من هذه الاصوات الخمسة ومثل هذا السلوك تاصر على صوتيمات المادة ولا يتعداها الى الصوتيمات التي لا تكون اصولا في مادة .

### ب) تجاوز الصوتيمات :

للسوتيمات في كل لغة سلوك معين ، فمنها ما لا يمكن ان يقع في اول الكلمة او وسطها او آخرها . ومنها ما لا يقع بعد النبر او بعد حركة معينة او قبلها . ومثال ذلك الصوتيم ن G في الانجليزية وهو لا يوجد الا في آخر الكلمة كما في King .

ومننا ما يجاوز اصواتا معينة ولا يجاوز اخرى . وفي الانجليزية يمكن وجود المجموعة اول الكلمة ولكن لا يمكن وجود المجموعة TS في هذا الموضع وقد تعرض العرب لموضوع تجاوز الاصوات غير أنهم ميزوا بين تجاوز الاصوات في نطاق المادة وفي غير نطاق المادة . وبالنسبة لاصوات المادة خلصوا الى القول بقواعد ثلاثة :

(1) لا يمكن اجتماع صوتين متماثلين في اول المادة ( اى لا يمكن كونها فاء وعينا ) ومن ثم فليس في العربية كلمة فاؤها وعينها فاء مثلا ، اما الكلمة اتبع وفيها تجتمع فاءان ( الفاء المشددة ) فاحدهما صوتيم المادة الاولى ( فاء الكلمة ) ابا الاخرى ( فاء الزيادة ) ، اى ان اجتماع التاعين يمكن اذا كانت احدهما فاء زيادة والاخرى من مادة الكلمة . كما يمكن اجتماع صوتين متماثلين في اول المادة نتيجة ادغام آخر كلمة سابقة مع اول كلمة بعدها كما في قولنا « اسكت توبة لريك » . فبالرغم من ان التاعين صوتيم ملادة فانها ليستا من مادة واحدة بل من مادتين مختلفتين هما س ، ك ، ت ، ت ، و ، ب .

(2) يمكن ان يكون الصوتيم الثانى والثالث من صوتيم مادة متماثلين مثل ر ، د ، د ، ش ، ب ، ب ، ومنها ردّ وشبّ .

(3) اذا كان الصوتيم الثانى والثالث غير متماثلين فيتحتم ان يكونا متباعدي المخرج . ولهذا فلا توجد مادة في العربية ثانياها وثالثها دالا وتاء او ياء او جيبا او سينا وصادا او طاء وتاء او قافا وكافا . الخ . وذلك لتجاور مخارج هذه الصوتيمات .

الشيء المهم هنا هو ان نظرية التجاور في هذا المجال ارسيت متحققة على النحو المألوف في غير العربية واخوانها الساميات لان المادة كما قلنا ليست صورة مفترضة . والتأثر بالتجاورة يفترض ان يكون ناتجا عن الحركة العضوية الواقعية التي تمر من موضع النطق بصوت الى موضع النطق بالصوت الذى يليه . وهذا التداخل في الحركة العضوية التي تستمر حتى تشمل الموضعين هو الذى يسبب التأثر بالتجاورة . ولما كانت المادة لا تنطق ، امتنع بالضرورة التأثر الناتج عن تداخل الحركة العضوية .

ولا اود ان اتورط في تفسير هذه الظاهرة اللغوية غير العادية . ولكن يمكن ان يفترض ان المادة في العربية كانت في دور سحيق كلمة واقعية يمتنع في نطاقها اجتماع صوت باخر .

ودراسة التغيرات الصوتية في نطاق المادة قد انتج دراسة طويلة قام بها اللغويون العرب بكل دقة وتفصيل . وهذه الدراسة تدخل في باب يعرف بالاعلال والابدال .

### ج) التجاور بالتقبل :

لا يقتصر تأثر الاصوات بعضها ببعض في العربية على الاصوات المتجاورة فعلا او على اصوات المادة بعضها ببعض بل قد يتعداها لتأثر اصوات في صيغة ما باصوات في صيغة ثانية مع ان الصيغتين لا تجتمعان اجتماعا واقعيا . وقد حصر العرب هذه الحالات حصرا دقيقا في باب صيغ الفعل وربطوا امكانيات التنوع الصوتي بين الصيغ بالتمدى واللزوم او ببعض المعانى . واليك امثلة توضح ذلك :

(1) الضمة القصيرة التي بعد التاف في « قل » جزء من الامر « ادخل » .

- 1 - فعل ومضارعه يفعل مثل ضربه يضربه
  - 2 - فعل ومضارعه يفعل مثل اخذه ياخذه
  - 3 - فعل ومضارعه يفعل مثل سمعه يسمعه
- وقد ارتبط تعدى الفعل هنا بحركة العين في كل من الماضى والمضارع او بعبارة اخرى فانه يمكن ان نقول بان كسر عين المضارع يحدث اذا فتحت عين الماضى وكان الفعل متعديا .

وهذا نوع جديد من التجاور ، اذا صح هذا التعبير وهو اعتماد نوع الحركة في كلمة اخرى لاتجاورها مجاورة واقعية استعمالية بل ترتبط بها بمجرد الاشتراك في المادة . اذكر هذا على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر لتوضيح هذه الظاهرة اللغوية الفريدة . ولئن شاء الاستزادة ان يرجع الى كتاب سيويه مثلا ليجد التفصيلات، والتفريعات التى تشهد بنضوج منهجى نادر .

#### د) اللواصق والوزن :

سبق ان ذكرنا ان بعض الكلمات يمكن ان تكون اساسا لتوليد كلمات اخرى وذلك باضافة صرفيمات ذات معنى ما الى الاساس . وقد تكون الصرفيمات المضافة بدورها كلمات تصلح اساسا ويمكن استعمالها مستقلة وقد لا تكون . وهذا النوع الاخير هو ما يسمى باللاصقة Affix واليك هذه الامثلة :

- 1 - الكلمة الانجليزية black bird ( اسم طائر ) تتكون من black و bird وكل منهما تصلح ان تستعمل كلمة مستقلة . وهنا يتعذر اختيار واحد من الجزاين ليكون اساسا .

- 2 - الكلمة impossible تتكون من im وتعبر عن النفى و possible وتسمى الاولى لاصقة امامية ( او سابقة ) prefix والثانية اساسا .
- 3 - الكلمة ( مسلجون ) تتكون من مسلم وهى الاساسى و ( سون ) وهى لاصقة .
- 4 - الكلمة العربية كليب تتكون من كلب وهى الاساس ومن الياء الساكنة بعد اللام وهى واسطة ( وضم الكاف منها ) .

ويمكن تطبيق نظرية اللواصق التى قال بها الاوروبيون على اللغة العربية في غير نطاق المادة . وقد فعل العرب ذلك في مثل جمع المذكر السالم والمؤنث السالم والتصغير .. الخ ، اما بالنسبة للمادة فلم يقولوا بفكرة السوابق والوسائط واللواحق بل قالوا بفكرة الوزن . وهم في هذا على حق فان الاصوات الزائدة على مادة ك ، ت ، ب في كلمة مكتوب . وهى الميم والفتحة التى بعدها والضمة الطويلة بعد التاء لا تنفصلان في صورة السابقة «م» والواسطة «و» ولكنها وحدة تركيبية لا يمكن انفصال جزئها .

هذه بعض الاسس النظرية التى بنى عليها التفكير اللغوى عند العرب . وهى كما قلت لم تذكر صراحة في مؤلف مستقل او في جزء خاص من مؤلف . ولكن اللغويين العرب قد يشيرون الى بعضها اشارة جانبية في بعض مناقشاتهم ، التى قد تتعرض لانكار شبيهة بما تعرف اليوم من نظريات لغوية وفي يقينى ان الاتجاه الى البحث عن الاسس النظرية للدراسة اللغوية العربية سيفتح امامنا مجالا خصبا جديدا لا يستطيع ان يلجه من لم يتمكن من فهم التراث اللغوى العربى فهما مستترا .

# جملة الموقع النحوي الواحد عند سيويه

الأستاذ / محمود شرف الدين

1 - سيويه والتبويب النحوي على أساس حجم الجملة:

لاحظت في « الكتاب » أن ما أسببته بحجم الجملة كان اعتبارا خضع له تبويب سيويه للجملة ، فهو - مثلا -  
- تكلم عن :

1 - الفاعل الذي لا يتمدى فعله الى مفعول .  
فعل + فاعل

2 - الفاعل الذي يتمدى فعله الى مفعول .  
فعل + فاعل + مفعول

3 - الفاعل الذي يتمدى فعله الى مفعولين  
فعل + فاعل + مفعول ( 1 ) + مفعول ( 2 )

4 - الفاعل الذي يتمدى فعله الى ثلاثة مفاعيل  
فعل + فاعل + مفعول ( 1 ) + مفعول ( 2 )

+ مفعول ( 3 ) فالفرق - الشكلي على الاقل - بين  
هذه النماذج هو في حجم الجملة ، فالنموذج الرابع اكبرها  
حجما ، او اكثرها عناصر ، والنموذج الاول اصغرها  
حجما ، او اقلها عناصر ( 1 ) .

تدرس الجملة من زوايا متعددة منها حجبها اي  
عدد العناصر المفردة التي تكونها ، والتي يشغل كل منها  
موقعا نحويا معينا . وبهذا الصدد اتسم الجملة العربية  
الى تسمين :

1 - جملة ذات مواقع .

2 - جملة ذات موقع .

وهذا البحث عن النوع الاخير الذي فضلت ان  
اطلق عليه هذا الاسم : لان لفظة « موقع » عامة  
واعتبارية في نفس الوقت قد تشغل بكلمة واحدة او باكثر  
من كلمة ، كما قد يكون العنصر الكلامي الشاغل لهذا  
الموقع طرفا في الاسناد او غير طرف .

واحيانا ساطق على جملة الموقع الواحد لفظة  
« كانية » لأنني اذهب الى أنها رغم كونها من موقع  
نحوي واحد ، الا أنها - اعتمادا على ملابسات اجتماعية  
- تؤدي ما تؤديه الجملة التي استوفت اطرافها ، والتي  
ساطق عليها لفظة « وافية » .

(\*) نوقش هذا البحث في ندوة قسم اللغة العربية بجامعة احمد بلو - نيجيريا بتاريخ 12 - 5 - 1975 م .  
(1) سيويه الكتاب ج 1 - 13 - 30 بولاق ، 1316 هـ .

ولا يتكلم به « (4) أو « إن هذا التمثيل لا يستعمل » (5) أو أن هذا « متروك إظهاره » (6) وقد شاع الآخر وساد حديث سيوييه عن هذه الجملة (7) .

والتعبير بترك الإظهار آمن وأسلم من التعبير با « لحذف » لأن العلاقة بين هذه الجملة والجملة المتعددة المواقع ليست في نظره علاقة اختزال أو حذف، بل علاقة « البديل » با « لبديل » الآخر (8) .

### ج - صيغة الكلمة :

تحدث سيوييه عن النوع الكلامي للعنصر المستعمل في هذه الجملة ، فقد يكون هذا العنصر اسما ، مفردا ، أو مضافا ، معرفة أو نكرة ، أو مصدرا أو اسما بديل مصدر ، أو صفة ، وهكذا .

والحديث عن الطبقة الكلامية التي يندرج تحتها العنصر يعد ربطا بين النموذج والصفة ، كما ربط من قبل بين النموذج والموقف الاجتماعي أو الأسلوب .  
فهذا النوع من الجمل له - إذن - مواقفه وأغراضه الاجتماعية وظيفته .

### د - الحركة الإعرابية للكلمة :

هذا أحد الاعتبارات التي حرص سيوييه على إبرازها وهو يعرض نماذج جملة الموقع الواحد ، وحركة العنصر كانت إما فتحة أو ضمة وإذا كان النحاة العرب قد ذهبوا - مصيبيين - إلى أن حركة الإعراب إحدى العلامات التركيبية التي بها يتعرف على وظيفة الكلمة في التركيب فإن الحركة الإعرابية في هذا النوع من الجمل لها أهمية ذات خطورة جسيمة من ناحيتين :

**الأولى :** معرفة ما إذا كانت جملة الموقع الواحد تعبر عما تعبر عنه الجملة الفعلية الوافية ، أو الجملة الاسمية الوافية . فالحركة على هذا تحدد نوع الجملة ، فهي - إذن - من علامات الجمل لامن علامات الكلمات .

والإساس السابق وجد في حديثه عن العناصر التي تجرى مجرى الفعل ، كالمشتقات ، والمصادر ، واسم الفعل (2) وغيرها من العناصر التي أسمها بالعناصر « الفعلية » .

وبعد أن فرغ سيوييه من الحديث عن الجملة الفعلية بأحجامها المختلفة أو الجملة ذات المواقع ، تحدث عما أسميه بجملة « الموقع الواحد » (3) .

### 2 - مبادئ عامة :

والى جوار التصور السابق كانت هناك بعض المبادئ منها :

#### 1 - مراعاة الموقف الاجتماعي وغرض التركيب :

كان سيوييه حريصا على أن يبين الموقف الاجتماعي الذي تستعمل فيه جملة الموقع الواحد ، لأنه لاحظ ما في هذه الجملة من الاكتفاء بالعنصر الواحد ، فكان يلجأ إلى المناسبات الاجتماعية التي ساعدت هذا العنصر على أداء ما تؤديه جملة « وافية » مما يكشف عن قوة دلالية في هذا النوع من الجمل .

كما كان يلزم نفسه ببيان الأسلوب الذي تستعمل فيه الجملة كأن يكون أسلوب أمر أو نهى أو دعاء على المخاطب أو دعاء له ، كما كان يبين إذا كانت الجملة تستعمل في الإخبار أو في الشرط وهكذا .

#### ب - التفرقة بين التمثيل والتكلم :

لاحظ سيوييه ما في تركيب هذه الجملة من مخالفة للمألوف في التراكييب العربية فكان وهو يخرج النماذج يمثل بالمقابل المؤلف من جملة وافية لفهام القارئ أن هذه الجملة رغم توحد عنصرها فيها قوة الجملة المتعددة العناصر أو المواقع .

ولخونه أن يظن القارئ أن هذه الجملة « مختزلة » من « الوافية » كان يسارح إلى القول « بأن هذا تمثيل

(2) الكتاب ج 1 - 37 ، 55 ، 82 - 128 .

(3) الكتاب ج 1 - 128 - 192 .

(4) الكتاب ج 1 - 157 .

(5) الكتاب ج 1 - 162 .

(6) الكتاب ج 1 - 138 ، 140 ، 141 ، 146 .

(7) الكتاب ج 1 - 156 - 184 .

(8) الكتاب ج 1 - 133 ، 147 ، 159 .



فبعضها لا يجوز فيه الا النصب ، وبعضها لا يجوز فيه  
الا الرفع .

فنماذج جملة المواقع الواحد حسب الحرك  
الاعرابية تلخص فيما يلي :

الرفع فقط	النصب فقط	النصب والرفع باعتبارين	النصب والرفع على السواء
جملة اسمية - كافية	جملة فعلية - كافية	نصب 1 - جملة فعلية كافية رفع 2 - جملة اسمية وافية	نصب 1 - جملة فعلية كافية رفع 2 - جملة اسمية كافية

مظهر لا يحسن اضماره ، وفعل مضمر مستعمل اظهاره  
وفعل مضمر متروك اظهاره (9) .

فلنا في استعمال الفعل ثلاث حالات :

(1) اظهاره ، فينتج لنا الجملة الوافية ، والممتد  
(جملة المواقع) .

(2) اضماره ، مع جواز اظهاره .

(3) اضماره ، مع عدم جواز اظهاره .

والحالتان الاخيرتان تمثلان ما اسيسه  
الجملة الكافية او جملة الموقع الواحد بنماذجها المختلفة

نماذج جملة الموقع الواحد :

1 - الحالة الاولى : جملة من موقع قد تستعمل مع  
جملة ذات مواقع ولهذه الحالة ثلاثة نماذج :

- 1 - اسم منصوب للدلالة على الامر والنهي
- 2 - اسم منصوب او مرفوع لغير الامر والنهي
- 3 - اسم منصوب او مرفوع بعد أداة من الادوات

نموذج (1) : اسم منصوب للدلالة على الامر والنهي  
للموقف الاجتماعي هنا دور ذو خطورة يتجلى في  
تحديد المواد اولا ، ونوع الفعل ثانيا ، فالمتكلم بهذا  
النموذج يكتفى بما يراه من عمل ولذا يستغنى عن  
اللفظ بهذا العمل .

الثانية : الحكم بما اذا كان العنصر من باب «الجملة  
ذات الموقع» او «الجملة ذات المواقع» «فستيا لك»  
اذا نصبت كانت من النوع الاول ، واذا رفعت «سقى  
لك» كانت من النوع الثاني .

وليس كل نماذج هذا الباب مما يجوز فيه الوجهان،

ويلاحظ ان النماذج المنصوبة كلها من باب جملة  
الموقع الواحد الفعلية ، ولعل هذا هو السبب في حديث  
سيبويه عن هذا الباب بعد حديثه عما اسيسه الجملة  
الفعلية الوافية .

والتبويب للجملة العربية بهذا الاعتبار طريف ،  
لان سيبويه تحدث بعد ذلك عن جملة المبتدأ والخبر ،  
واذا كانت (جملة الموقع الواحد) منها الفعلية والاسمية،  
امكننا ان نذهب الى ان سيبويه بوب للجملة العربية  
حسب حجمها على النحو التالي :

(1) الجملة ذات المواقع (وافية)  
↓  
فعلية اسمية

(2) الجملة ذات الموقع (كافية)  
↓  
فعلية فقط فعلية او اسمية اسمية فقط

وواضح ان النوع الثاني منه ما ينتمى الى  
«الفعلية» في النوع الاول ، ومنه ما ينتمى الى  
«الاسمية» ، ومنه ما ينتمى الى الاثنتين ، ولذلك وقع  
النوع الثاني بين جملة الفعل والفاعل من ناحية وجملة  
المبتدأ والخبر من ناحية اخرى .

(3) نماذج جملة الموقع الواحد كما عرضها سيبويه :

جاء في الكتاب :

«الفعل يجرى في الاسماء على ثلاثة مجار ، فعل

الموقف الاجتماعي	جملة الموضع الواحد ( الكائنية )	جملة المواتع ( الممتدة او الوائنية )
رجل يضرب رجل يحدثك بحديث فقطمه	{ زيدا } { حديثك } نهى	اضرب زيدا واصل حديثك
جدار سيقع رجل يكاد يظا الصبي	{ الجدار الجدار } { الصبي الصبي } امر	احذر الجدار لاتوطيء الصبي (10)

ان اضمرت اضمرت ما هو في معناه مما يصل بغير حرف  
اضافة (13) .

وجملة الموضع الواحد هنا لا بد ان تنصب ، ولذلك  
فان الفعل الذي يجوز ظهوره في مقابلها متعددة المواتع  
ينبغي ان يقيد بهذا الاعتبار ، ولهذا فانه لا يجوز القول  
بان الفعل المضمر هو المضارع المسبوق بلام الامر مخالفة  
ان يرفع الاسم معه .

يقول سيبويه : « واعلم انه لا يجوز ان تقول :  
زيد وانت تريد ان تقول : ليضرب زيد او ليضرب زيد  
اذا كان فاعلا (14) .

واذن فحرية التقدير التي يكتلها هذا النموذج  
مقيدة بـ :

- (1) عدم جواز تقدير فعل يتعدى بحرف الجر .
- (2) عدم جواز تقدير مضارع مسبوق بلام الامر لما  
يسببه من رفع الجملة ذات الموضع الواحد ، وهي لا بد  
ان تنصب .
- نموذج (2) اسم منصوب او مرفوع لغير الامر او النهي :

### مدى الحرية في تقدير صورة الجملة ذات المواتع في هذا النموذج :

يقسم تقدير الصورة الممتدة للجملة ذات الموضع  
الواحد هنا بشيء من الحرية والمرونة ففي المثال « اللهم  
ضبعا وذئبا » صورته الممتدة قد تكون : اللهم اجمع او  
اجعل فيها ضبعا وذئبا (11) .

كما ان العنصر الذي يقدر لا يشترط ان يكون  
فعلا ، بل يجوز ان يكون اسم فعل ، فقول العرب  
« امر مبكياتك لا امر مضحكاتك » انما هو على « عليك  
امر مبكياتك » (12) .

لكن هذه الحرية ليست مطلقة ، فاحيانا قد يكون  
الفعل المضمر من الاعمال المتعدية بنفسها ، او من  
الاعمال التي تتعدى بحرف الجر وهنا لا يجوز سيبويه  
الا تقدير النوع الاول . ومن هذا ( الطريق الطريق )  
ان شاء قال : خل الطريق ، او تنح عن الطريق .. ولا  
يجوز ان تضمر تنح عن لان الجار لا يضمر + .. ولكنك

الموقف	جملة المواتع	جملة الموضع الواحد	الحكم الاعرابي	نوع الجملة
تقول في : رجل متوجه الى الحج	يريد مكة	مكة	يجوز في هذا النموذج النصب والرفع	فعلية كائنية مع النصب
رجل يسدد سهما الى قرطاس	يصيب القرطاس	القرطاس		

- (10) انظر امثلة اخرى في الكتاب ج 1 - 128 .
- (11) الكتاب ج 1 - 129 .
- (12) السابق ، نفس الصفحة .
- (13) السابق ، 128 .
- (14) السابق ، نفس الصفحة .